المركز الجامعي الونشريسي بتيسمسيلت
University Center El Wancharissi of Tissemsilt - Algeria

دراسات معاصرة

مخبر الدراسات النقدية و الأدبية المعاصرة - تيسمسيلت

ISSN: 2571-9882
EISSN: 2600-6987

كانون الثاني جانفي
2019

دراسات معاصرة

معامل التأثير العربي لسنة 2018 قدره 0.265

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ دَوْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٍ تُعْنَى بِالدِّرَاسَاتِ النَّقْدِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ

تَصْدُرُ عَنْ مَخْبَرِ الدِّرَاسَاتِ النَّقْدِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ المُعَاصِرَةِ - الْمَرْكَزِ الْجَامِعِيِّ الْوَنْشَرِيسِيِّ - تِيسَمْسِيلْت / الْجَزَائِر

السنة الثالثة – المجلد 03 – العدد 01

الإيداع القانوني:
جانفي 2019

منشورات مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي الونشريسي/تيسمسيلت

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت

الإيداع القانوني: جانفي 2019

ISSN 2571-9882
EISSN 2600-6987

معامل التأثير العربي لسنة 2018/ 0.265

دراسات معاصرة

مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية

تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي-تيسمسيلت/الجزائر

تعنى بالدراسات النقدية والأدبية واللغوية

السنة 03 المجلد 03 العدد 01/ جانفي/ كانون الثاني 2019

منشورات مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان المجلة: المركز الجامعي -تيسمسيلت/الجزائر

البريد الإلكتروني للمجلة: dirassat.mo3assira@gmail.com

تستقبل المجلة البحوث عبر المنصة الجزائرية للمجلات العلمية المحكّمة

رابط المجلة:

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297

الرئيس الشرفي للمجلة: أ . د . دحدوح عبد القادر/مدير المركز الجامعي -تيسمسيلت

مدير المجلة: أ . د . خلف الله بن علي -المركز الجامعي -تيسمسيلت

رئيس التحرير: د . فايد محمّد -المركز الجامعي -تيسمسيلت

المركز الجامعي تيسمسيلت
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية
دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة

هيئة التحـــرير:

أ.د. مصابيح محمّد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
أ.د. سمر الديوب- عميد كلية الآداب-جامعة حمص/سوريا.
أ.د. فريد أمعضشو- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق - وجدة / المغرب
أ.د. خلف الله بن علي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.عادل الصالح- كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان/ تونس
د.بشير دردار- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.سحنين علي-جامعة معسكر/الجزائر
د.غربي بكاي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.سليمان زين العابدين- مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب والفنون مكناس/المغرب

الهيئة الاستشارية للمجلة:

أ.د. مصطفى عطية جمعة-كلية التربية الأساسية-الهيئة العامة للتعليم التطبيقي/الكويت
أ.د.يوسف وغليسي-جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة/الجزائر
أ.د.صابر الحباشة-قسم اللغة العربية-جامعة زايد/الإمارات العربية المتّحدة
أ.د.بوزيان أحمد-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
أ.د.فريد أمعضشو-المركز الجهوي لمهن التربية والتعليم-وجدة/المغرب
أ.د. بوشوشة بن جمعة-الجامعة التونسية/تونس
أ.د.علي ملاحي-كلية الآداب واللغات الشرقية-جامعة الجزائر02/الجزائر
أ.د.عقاق قادة-كلية الآداب-جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس/الجزائر
أ.د نعيمة علي عبد الجواد(لغة وأدب إنجليزي)-كلية الآداب-جامعة القصيم/السعودية
أ.د.مباركي بوعلام-كلية الآداب-جامعة الطاهر مولاي-سعيدة/الجزائر
أ.د.غربي شميسة-كلية الآداب-جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس/الجزائر
أ.د.زروقي عبد القادر-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
أ.د.بولفوس زهيرة-جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة/الجزائر
أ.د.ذهبية حمو الحاج-كلية الآداب-جامعة مولود معمري-تيزي وزو/الجزائر
أ.د. عبد العالي بوطيب جامعة مولاي إسماعيل مكناس/ المغرب.

المركز الجامعي تيسمسيلت
دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة
مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

اللجنة العلمية للعدد الأول المجلّد الثالث–السنة الثالثة (يناير 2019):

أ.د. مصابيح محمّد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.لرقم راضية-كلية الآداب-جامعة قسنطينة/الجزائر
د.يونسي محمّد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
أ.د. سمر الديوب- عميد كلية الآداب-جامعة حمص/سوريا.
د.بن قبلية مختارية-كلية الآداب-جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم/الجزائر
أ.د. فريد أمعضشو- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق - وجدة / المغرب
د.محمد الرقيبات-جامعة اليرموك/الأردن
أ.د. خلف الله بن علي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.فاضل دلال-جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي/الجزائر
أ.د.بن فريحة الجيلالي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.بوزوادة حبيب-كلية الآداب-جامعة معسكر/الجزائر
د. بولخراص محمد -كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د. طالب عبد القادر -جامعة امحمد بوقرة- بومرداس/ الجزائر.
د.رز ايقية محمود- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.عادل الصالح- كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان/ تونس
د.مرسلي مسعودة- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر.
د.نورة الجهني-جامعة الملك عبد العزيز-جدة/السعودية
د.بلمهوب هند- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.علاوة كوسة-المركز الجامعي ميلة/الجزائر
د.عبد العالي السراج- مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب والفنون مكناس/المغرب
د.معازيز بوبكر-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د.حاكمي لخضر-كلية الآداب-جامعة د.الطاهر مولاي-سعيدة/الجزائر
د.بومسحة العربي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.بلمرسلي سبع-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د.روقاب جميلة-كلية الآداب-جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف/الجزائر
د.بشير دردار- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.سحنين علي-جامعة معسكر/الجزائر

المركز الجامعي تيسمسيلت
دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة
معهد العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير

د.هدروق لخضر- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
أ.د.سيدي محمد بن مالك-المركز الجامعي مغنية/الجزائر
د.شريف سعاد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.طير ابراهيم-مركز ابن زهر للأبحاث والدراسات في التواصل وتحليل الخطاب (مربد)-أغادير/المغرب
د.تواتي خالد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.بوضياف محمّد الصالح-المركز الجامعي –النعامة/الجزائر
د.بوعرعارة محمّد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.براهمي فاطمة-كلية الآداب-جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس/الجزائر
د.غربي بكاي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.باقل دنيا-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د.خضر أبو جحجوح-الجامعة الإسلامية-غزة/فلسطين
دبولعشار مرسلي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.دبيح محمّد-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د.سليمان زين العابدين- مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب والفنون مكناس/المغرب
د.فايد محمّد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.خالد كاظم حميدي-كلية الشيخ الطوسي الجامعة/العراق
د.بوغاري فاطمة-كلية الآداب –ملحقة قصر الشلالة-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د.بوشلقية رزيقة-كلية الآداب-جامعة مولود معمري-تيزي وزو/الجزائر
د.فارز فاطمة-كلية الآداب –ملحقة قصر الشلالة-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د.زغودة اسماعيل-كلية الآداب-جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف/الجزائر
د.بوسحابة رحمة (ترجمة)-كلية الآداب-جامعة معسكر/الجزائر

المركز الجامعي تيسمسيلت
دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة
معهد العلوم القانونية والإدارية

روابط توطين مجلة دراسات معاصرة

المجلة موطنة ضمن موقع الأرضية الجزائرية الإلكترونية للمجلات العلمية المحكّمة asjp

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297

ومفهرسة عبر موقع المركز الجامعي تيسمسيلت عبر الرابط الآتي

/http://www.cuniv-tissemsilt.dz/index.php/dirassat-moaasira

وعبر موقع معامل التأثير العربي عبر الرابط الآتي

http://www.arabimpactfactor.com/Pages/tafaseljournal.php?id=7658

وعبر قاعدة بيانات دار المنظومة بالمملكة العربية السعودية/ رابط دار المنظومة

/http://mandumah.com

وعبر قاعدة بيانات مؤسسة معرفة للمحتوى الرقمي بالأردن/ رابط المؤسسة

/https://e-marefa.net/ar

المركز الجامعي تيسمسيلت
دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة
مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

شروط النشر وضوابطه

مدير النشر: د.بن علي خلف الله رئيس التحرير: د.فايد محمّد.

تتشرف الهيئة المشرفة على مجلة (دراسات معاصرة)، بدعوة السادة الباحثين من داخل الوطن وخارجه للمساهمة في أعدادها المقبلة بإذن الله، وذلك بإرسال أور اقهم البحثية التي تدخل ضمن اهتمامات المجلة، مع التنويه بضرورة التزام شروط النشر وضوابطه المعتمدة والمبيّنة أدناه:

1- -تنشر المجلة الأبحاث ذات الصلة باللغة والأدب والنقد.

2.يشترط في البحث أن لا يكون نشر أو قدم للنشر في أي مكان آخر، ويتعهد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث للنشر.

3-تخضع البحوث للتقويم حسب الأصول العلمية المتبعة.

4-يكتب البحث باستعمال برنامج 2007 Microsoft Word بصيغة doc أو بصيغة docx. وتكتب الهوامش في آخر البحث يدويا.

5-الخط عربي تقليدي حجم 16 للمتن، 14 للإحالات (باللغة الأجنبية خط (times new roman) حجم 14 للمتن 12 للإحالات.

6-أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 ، ولا يقل عن 15.

7العناوين الرئيسة والفرعية: تستخدم لتقسيم أجزاء البحث حسب أهميتها، وبتسلسل منطقي.

8-يقدّم الباحث ملخصا وكلمات مفاتيح باللغتين العربية والانجليزية.

9-لهيئة التحرير حق إجراء تعديلات تتعلّق بالإخراج الفني النهائي لمواد المجلة.

10-قرار هيئة التحرير بقبول إحالة البحث إلى المحكمين أو رفضه مباشرة قرار نهائي مع الاحتفاظ بحقها بعدم إبداء الأسباب.

11-يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة.

12-تدرج الإحالات بصيغة يدوية في نهاية البحث ويستعمل الباحث العلامة: "....." لتبيان بداية ونهاية الاقتباس،

13- الكلمات والمصطلحات وأسماء الأعلام باللغتين تُميّز بعلامة تختلف عن علامة الاقتباس... (.....) مثلا.

14-يزود الباحث بنسخة pdf من العدد الذي نشر فيه بحثه.

ملاحظة مهمة: يتم استقبال المقالات على مدار السنة. تصدر المجلة مجلّدا واحدا كلّ سنة يتكوّن من عددين يصدر الأول في الأسبوع الأوّل من شهر يناير من كلّ سنة أمّا الثاني فيصدر في الأسبوع الأول من شهر جويلية/ نوقف استقبال المقالات الخاصة بكل عدد قبل موعد نشره بـ 90 يوما

دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة

افتتاحية العدد

كانت حلماً يداعب مخيلتنا، وأصبحت حقيقة بين يدي قرائها، وباحثيها. لم يكن في أذهاننا أن نضيف رقماً إلى سلسلة الدوريات المحكّمة في الوطن العربي، ونحن ندرك أنه هدف مشروع، ولا يخلو من فائدة حين يتحول التراكم إلى كيف ما، لكنّ المسافة بين هدفنا والأفق المفتوح كانت حافلة بالأحلام الخضر؛ لذا لم نقتنع بالثمار الميسورة من شجرة الواقع الثقافي، وامتد حلمنا إلى مجلة تقنع عقول قرائها، وتقدم لهم الفائدة المرجوة، وتكون عوناً للباحثين، فراحت أنظارنا تتعلق بزرع شجرة جديدة؛ لقناعتنا أن ما تأتي به الرياح تأخذه الرياح، فكان سعينا لتأسيس عمل جاد علمي رعيناه بذرة لكي يتحول إلى شجرة لا تخطئها العين.

ولأن همنا انحصر في الانفتاح على الوعي الثقافي ذللنا الصعوبات وأطلقنا مجلة دراسات معاصرة المحكّمة، وفرض هذا الأمر أن نتعامل تعاملاً خاصاً مع المادة البحثية المنشورة في مجلة دراسات معاصرة، مادة تشتمل على الإبداع، والأصول البحثية المنهجية، والعمق والرؤية الجديدة. من هنا انفتح أفق المجلة على الأبحاث الفكرية النقدية واللسانية واللغوية؛ أي على أقانيم المعرفة الإنسانية مزينين هيئة تحريرها بنخبة من الأساتذة المشهود لهم بالكفاءة في الوطن العربي.

وشرّعت المجلة أبوابها للباحثين من دول الوطن العربي، وتزينت هيئة تحريرها بالنخبة من النقاد المتميزين في الوطن العربي من شرقه إلى غربه، فلم يحدّ تباعد المسافات من التواصل، بل جعلنا أشد شوقاً إلى الآخر.

إن حظ دراسات معاصرة في الوجود بين شقيقاتها في الوطن العربي يصبح وجوداً حيوياً، يكتظ بالإنجازات المهمة، والخطوات الخضر. إننا نفتخر أنها ولدت في زمن التطلعات الكبرى نحو التميز والإبداع.

إننا مسكونون بالغد الأجمل، وتحقيقاً لهذا الطموح يصدر هذا العدد من مجلة دراسات معاصرة متضمناً جملة من المباحث المهمة التي تثير أسئلة في النقد تتصل بالمضامين التي يتأسس عليها أو بالمناهج والآليات التي يتوسل بها حين يستنطق النص الأدبي، وحول أسئلة النقد ثمة أسئلة أخرى ترصد الحيثيات القائمة بين النقد بوصفه حقلاً معرفياً والسياق الفكري الذي يصنعه الحدث التاريخي. فلم ينفصل النقد الأدبي يوماً عن المنظومة الفكرية العامة.

في هذا العدد الأول من المجلد الثالث الذي يصدر للسنة الثالثة على التوالي ثمة جملة من المباحث المتنوعة ما بين الفكري والنقدي والاجتماعي واللساني واللغوي، فيطالعنا بحث التجربة النقدية لدى محمد مصايف، والبعد التداولي للغة في تحليل الخطاب، وتحديد مكانة المرأة القديمة والمعاصرة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، والعلاقة بين الذات والآخر في رواية أول حب آخر حب في رواية ماري رشو، وآليات السرد المعاصر في الخطاب الأدبي، والشخصية المسرحية من منظور التلقي، وظاهرة الخلط في كتب التراث اللغوية، وغيرها الكثير من المباحث المتنوعة.

ونحن إذ نصدر هذا العدد الجديد نعمل على تطوير حلمنا، ونشكر القائمين على شؤون المجلة، والساعين إلى الارتقاء بها إلى أفضل المستويات، ونعد بالأفضل دائماً.

بقلم المحرّر المساعد أ.د. سمر الديوب
سوريا- حمص- جامعة البعث

محتوى العدد:

أثر البنية الإحالية لضمير الشأن في التماسك النصي(دراسة تطبيقية في بعض آي القرآن الكريم).....11-22
د. نورالدين دريم- جامعة الشلف الجزائر.
الاستشراق بين الاستمرارية و الأفول دراسة حجاجية.....23-31
د.حكيمة دريسي- جامعة سيدي بلعباس الجزائر.
البعد التداولي للّغة في تحليل الخطاب.....32-39
د.بومسحة العربي- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
التجربة النقدية لدى محمّد مصايف.....40-48
أ.د. خلف الله- بن علي المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
التحقيق وعلم المخطوطات (المصطلح والمفهوم) 49-57
د. فتح الله محمّد- المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت الجزائر.
التكامل بين ممارتي المحادثة والاستماع في التحصيل اللغوي المرحلة التحضيرية نموذجا.....58-64
أ.د. بن فريحة جيلالي- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
الحكاية الشعبية في موازين الدراسات السيميائية والأنثروبولوجية (تحليل حكاية شعبية مرحة من منطقة الشلف).....65-73
د. نبيلة بلعبدي- جامعة الشلف الجزائر.
الخطاب الإشهاري في ضوء المقاربة الحجاجية.....74-81
د. سعيدة حمداوي- جامعة أم البواقي الجزائر.
الخطاب النقدي القديم من احتذاء النحو إلى وصاية البلاغة.....82-95
د.بشير دردار- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
الروافد المعرفية الحديثة في تشكيل الفكر الأدونيسي (الهُوية المُمزقة والدّفاع ضد القَمع).....96-106
د. معازيز بوبكر- جامعة تيارت الجزائر.
الشخصية المسرحية من منظور التلقي مسرحية "حلم ليلة دم" نموذجا.....107-116
د.بشرى سعيدي- الكلية المتعددة التخصصات الرشيدية المملكة المغربية
العلاقة بين الذات والآخر في رواية "أول حب آخر حب" لـ ماري رشو.....117-127
د. إبراهيم الشبلي- المعهد العالي للغات الحية جامعة آرتوكلو ماردين تركيا.
القارئ و حركية الإبداع عند نبيلة إبراهيم و حميد لحمداني 128-134
الباحث: بوعلام حمديدي- جامعة الجزائر 2 الجزائر.
المثقف الجزائري ورحلة المعاناة في روايات عزالدين جلاوجي.....135-141
د. رويدي عدلان- جامعة جيجل الجزائر.
المعرفة المشتركة بين لسانيات الخطاب و البلاغة العربية -دراسة في آليات التقارب-.....142-154
د. إدريس عمراني- مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث مكناس/المملكة المغربية
المنهج الأسلوبي عند صلاح فضل.....155-161
الباحثة: لرجاني خديجة- أسماء جامعة سيدي بلعباس الجزائر.
النظرية التوليدية التحويلية وعملية التواصل اللغوي.....162-170

المركز الجامعي تيسمسيلت
مخبر الدراسات النقدية والأدبية
دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة

الباحثة: نعيمة طيبي- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
النقد النسوي العربي، إرهاصات وتجليات.....180-171
الباحث: عمارني محمّد- جامعة تيارت الجزائر.
آليات السرد المعاصر في الخطاب الأدبي الإبراهيمي -التعدد اللغوي في رواية الثلاثة أنموذجا.....186-181
الباحثة: تقية هاجر- جامعة سطيف2 الجزائر.
بنية الجملة العربية في الكتابات اللّسانية التّوليدية التّحويلية المعاصرة كتابات عبد القادر الفهري أنموذجا.....195-187
الأستاذ : محمّد يـزيد سالم- جامعة بسكرة الجزائر.
بنية الحدث في رواية"فوضى الحواس"" لأحلام مستغانمي".....200-196
الباحثة: بن عيسى سميرة- جامعة سيدي بلعباس الجزائر.
بنية العامل وإنتاج السرد قراءة سيميائية في رواية رأس الشيطان لنجيب الكيلاني.....213-201
د. رشيد بلعيفة- جامعة خنشلة الجزائر.
تحديدُ مكانةِ المرأةِ القديمةِ والمعاصرةِ في ضوءِ علم اللّغة الاجتماعيّ (أشعارُ الخنساء و سعاد الصّباح أُنموذجاً) 226-214
د. روح الله صيّادی نجاد- جامعة كاشان جمهورية إيران الإسلامية
تعالق الشعر والدين في رواية سمرقند لـ" أمين معلوف".....236-227
الباحث: نوال العايب- جامعة -عنابة. الجزائر.
تقنيات السرد العربي القديم في ضوء العجائبية ألف ليلة وليلة أنموذجا.....245-237
الباحثة: ناجي نادية- جامعة تيارت الجزائر.
دور التّلفزيون في الحفاظ على الثقافة الشعبية حصة " أماشهوا" أنموذجا.....254-246
د. مولود بوزيد- جامعة تيزي وزو. الجزائر.
رمزيّة الصُّورة الفوتوغرافيّة للأَمير عبد القادر الجزائري- قراءة في الدّلالة و التّأويل-.....260-255
د. حاكي لخضر- جامعة سعيدة الجزائر.
صِفات الحُروف بين النُّحاة والبلاغيّين.....271-261
الباحث: بوشيبة حبيب- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
طرائق التّدريس ودورها في تفعيل العمليّة التّعليميّة.....279-272
الباحثة: بن نعجة فتيحة- جامعة تيارت الجزائر.
ظاهرة الخلط في كتب التراث اللغوية غياب منهج أم سوء فهم؟(البيان والتبيين نموذجا).....290-280
د.مرسلي مسعودة- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
فاعلية السّرد في الحكاية العجيبة "نصيف عبيد" البناء والدلالة.....302-291
الباحثة: فايزة بن كروش- جامعة محمّد بوضياف/المسيلة الجزائر.
فلسفة القراءة التفكيكية من التأويل إلى انحراف المعنى.....308-303
د. عبد الرزاق علاّ- المركز الجامعي عين تموشنت الجزائر.
فن القراقوز في الجزائر من خلال أدب الرحالات الأجنبية.....318-309
أ.مباركة مسعودي- جامعة عنابة الجزائر.
من مباحث تعليمية المعجم عند روبار غاليسون.....328-319
الباحث: وسعي بشير- جامعة سعيدةالجزائر.

المركز الجامعي تيسمسيلت ★ معهد العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية ★
دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة

مجلة دراسات معاصرة؛ دورية دولية نصف سنوية محكّمة تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر

تاريخ الإرسال: **26** جانفي **2018** تاريخ القبول: **08** أوت **2018** تاريخ النشر: **02** جانفي **2019**

ظاهرة الخلط في كتب التراث اللغوية غياب منهج أم سوء فهم؟
(البيان والتبيين نموذجا)

The Confusion Phenomenon in Linguistic Heritage Books Absence of a Curriculum or Misunderstanding?
(Al bayan wa ettabyin model)

د.مرسلي مسعودة
المركز الجامعي تيسمسيلت
الجزائر
messa.morsli@yahoo.com

الملخص:

كثيرا ما تطالعنا كتابات المحدثين بدراسات للتراث اللغوي العربي، وتلك الكتابات يتجاذبها تياران، أما الأول فاتسم بالانبهار بذلك التراث وتمجيده والإشادة والاحتفاء بما فيه حاملة شعار "أنّى للاحق أن يأتي بمثل ما أتى به السابق"، وأما الثاني فعرف أصحابه برغبتهم الجامحة في نقد التراث وقياسه بميزان العقل لا العاطفة، فرأوا أن ذلك التراث فيه ما فيه من مواطن الخلل والخطل وتتطلب الاستفادة منه غربلته وتمحيصه بل وحتى تجاوزه لأنه لا يمثل إلا مرحلة من مراحل الزمن ولا يمكن أن يفيد في غيرها بأية حال من الأحوال، وبين هؤلاء وأولئك لم تكن هناك إلا فئة قليلة نظرت إلى ذلك التراث نظرة العاقل الراشد فلا إلى التقديس جنحت ولا إلى العقوق انحرفت، فرأت لزوم إعادة قراءة التراث وتمحيص ما جاء فيه والإفادة من دروه.

ومن درر الزمان الفريدة كتاب "البيان والتبيين" لصاحبه "أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ" هذا الكتاب الذي تلقفته أيدي المحدثين بشغف منقطع النظير فدرسوه وتدارسوه حتى ليخيل للمرء أنهم قد أماتوه بحثا وقراءة ولكن سرعان ما يفاجئنا باحث من هنا أو هناك بقراءة جديدة لهذا الكتاب، ومع ذلك لم يسلم من النقد، مثله مثل بقية كتب التراث عامة ومؤلفات الجاحظ خاصة، وكانت الصفة اللصيقة بمثل تلك المؤلفات هي "ظاهرة الخلط" أو "غياب المنهج"، فقد وصفت جل الدراسات المعاصرة كتاب البيان والتبيين على أنه كتاب غاب عنه المنهج وافتقدت أبوابه التنظيم والترتيب، وانطلاقا من هنا يمكن أن نطرح الإشكالات الآتية: هل غاب المنهج عن كتب التراث اللغوية؟ ألم يكن في وسع عبقري كالجاحظ أن يكتب وفق نظام وترتيب يبهر من عاصره ويروق من جاء بعده؟ هل يمكن حقا وصف طريقته في الكتابة بالخلط وسوء الترتيب؟ أم أنه مجرد سوء فهم من المعاصرين، وافتقاد للخيط الرابط بين عناصر كتاب البيان والتبيين؟ ألا يمكن اعتبار اللامنهج منهجا للجاحظ في كتاباته؟

هذه الإشكاليات وغيرها هي ما سأسعى للإجابة عنه في هذه المقالة متتبعة آراء المعاصرين حول الجاحظ وطريقته في الكتابة، وباحثة في الوقت ذاته عن المنهج الذي كتب الجاحظ وفقه البيان والتبيين ومدى إمكانية الاستفادة منه في الدراسات اللسانية العربية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: التأليف البلاغي؛ الخلط،المنهج؛ الجاحظ؛ البيان والتبيين؛ الموسوعية؛ الشمولية.

Abstract:

Phenomenon of confusion in the rhetorical books of heritage - Lack of methodology or poor understanding.

Rhetorical writing has made tremendous progress during the first five centuries of Islamic civilization, in an epistemological complementarity and interaction between civilizations, the majority of the works of this period have taken on an encyclopedic form which includes on the one hand all linguistic and linguistic knowledge. connected to the human sciences, and this trait came from their deep understanding of the linguistic fact. What is sad is that some of those who have bequeathed this huge linguistic heritage in general and rhetoric in particular have described this heritage as confused and far from any methodology while forgetting or pretending to forget the nature of the circumstances in which it had been built. And the book (Al Bayan wa tabyine) is a perfect example of rhetorical works that had a global and encyclopedic feature.

***Keywords** : Creation (writing) - confusion- methodology- encyclopaedia- globalization.*

توطئة:

امتلكت الأمة العربية تراثا بلاغيا قلّ أن نجد له نظيرا عند غيرها من الأمم، وقد تضافرت عوامل كثيرة في تشكيل ذلك التراث، منها ما هو وافد ومنها ما هو وليد البيئة العربية الخالصة، وقد تلقفت أيدي الباحثين في القرنين الأخيرين ذلك الزخم الهائل من المؤلفات البلاغية التي ورثوها عن أسلافهم، وراحوا ينقبون بين صحائفها عن سر القول البليغ، والنص البديع، وكانوا في تلقفهم لذلك التراث متفاوتون في مدى وفائهم له، وذلك باختلاف المدارس التي استقوا منها معارفهم، والمشارب التي نهلوا عنها مناهجهم، فبين مُحتفٍ بذلك التراث معجبٍ بكلّ ما جاء فيه، منبهر بما وصل إليه أعلامه من أمثال الجاحظ والجرجاني، إلى مشكك في مصدره، واصف مادته بالخلط ومنهجه بالاضطراب، فتراوحت الدراسات بين التأريخ، والقراءة، ومشاريع إعادة البناء، وإسقاط المناهج الحداثية عليه، أو محاولة استنباط آليات المقاربات المعاصرة من بين ثناياه؛ وفي هذه المقالة سأحاول التقرب من ذلك التراث، في ضوء كتابات المحدثين، مخصصة تناولهم لكتاب "البيان والتبيين"، مع محاولة السعي إلى تسليط الضوء على منهج الكتاب ورؤية صاحبه في تناول القضايا التي طرحها.

التراث البلاغي العربي:

لمّا كانت عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في أوجها مثّلت بيئتها مصبّا لروافد المعرفة الإنسانية آنذاك، فازدهر التأليف وتطورت حركة الترجمة ونمت المعارف والعلوم وارتسمت بينها الحدود، ولكنّ ذلك التطور لم يحدث فجأة، وإنما تطورت العلوم ونمت تدريجيا ومرت بمراحل إلى أن تشكلت صورتها التي وصلتنا عليها، فقد ساهمت عوامل كثيرة في تشكيل مراحل التأليف البلاغي، وذلك أن الموروث البلاغي العربي قد تواشج مع حقول معرفية عديدة إن لم نقل نشأ بين أحضانها وترعرع في أكنافها، وتلك الحقول هي التي سنعرض لها فيما يأتي:

1-القرآن الكريم وسؤال الإعجاز:

نزل القرآن الكريم على أمة أميّة سلاحها الحرف وسحرها البيان، فكانت المعجزة من جنس فن القوم الذي يتقنون، وصنعتهم التي يحترفون، فكان البيان هو محل التحدي والإعجاز، يقول الله تعالى:﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ [هود:13] ، إذ ليس موضوع التحدي مضامين القرآن الكريم، لأنّ المشركين قد ادّعوا بهتانا وزوراً أنّها افتراء من رسول الله عليه من ربّه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فتحداهم بأن يأتوا ببيان مثل بيانه وبلاغة مثل بلاغته حتى وإن كانت المضامين من تلفيقهم وافترائهم، ولكن الخبر الثابت أنهم لم يحاولوا «وهم على ما هم عليه من الذرابة والسلامة والمعرفة بوجوه الفصاحة، وهو يستطيل عليهم بأنهم عاجزون عن مباراته، وأنهم يضعفون عن مجاراته، ويكرر فيما جاء به ذكر عجزهم عن مثل ما يأتي به ويقرعهم ويؤنبهم عليه، ويدرك آماله فيهم، وينجح ما يسعى له بتركهم المعارضة»[1]، فقد اجتمع عجزهم عن مجاراته، وانبهارهم بفصاحة آياته، مع ما يملكونه من ملكة فطرية تؤهلهم لتذوق الكلام البليغ وصناعته، وهي عوامل مهدت لطرح سؤال الإعجاز، المتضمن إقرارا بذلك، فالقرآن معجز، ولكن ما وجه الإعجاز فيه؟

وفي ظل هذا السؤال نمت بذرة البلاغة إلى أن أصبحت شجرة وارفة الظلال، فقد توالت المساعي والاجتهادات من أجل البحث في سر إعجاز القرآن الكريم من أعلام الأمة الأفذاذ، باختلاف مشاربهم وتوجهاتهم «فكان منهم من حاول أن يكشف عن أسرار الإعجاز في

فصاحة القرآن أو بلاغته، في أسلوبه ونظمه، [...] وقف القائلون بهذا الرأي يحللون فصاحة الأسلوب أو بلاغته؛ فمن قائل إنها في ألفاظ القرآن، ومن قائل إنها في الانسجام بين الحروف أي في الأصوات بدءا وتركيبا ووقفا، ومن قائل إنّ بلاغة القرآن في نظمه»[2]، ولو لخصنا تلك الآراء جميعا لخرجنا بالموضوع عن هدفه، ولكن ما يهمنا هو أن المساعي الحثيثة في الإجابة عن ذلك السؤال -سؤال الإعجاز- قد أوقد فتيل البحث البلاغي، ورسم المعالم الأولى لهذا المجال.

خاصة بعد ظهور من قال بالصَّرفة وهو مذهب النظّام المشهور، والذي ملخصه أن «الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقا للعادة»[3]، وإن كان النظّام مقرّا بالإعجاز إلا أنه أخرجه عن الأصل الذي عرف به فكان كمن قال بعدمه، وذلك بوقوع الإعجاز خارج النص، والأصل الثابت أنّ النص معجز في ذاته، وقد يصل الأمر بتصديق فكرة الصرفة إلى القول بزوال التحدي، إذ ما فائدة التحدي وقد سلبوا قدرتهم البلاغية التي بها يقدرون على مجاراة ما تحدوا فيه.

وردّا على الصرفة توالت الإجابات البلاغية في أحضان درس الإعجاز، فكان أول الرادّين على النظّام ابن طريقته الجاحظ الذي يقول: « ولي كتابٌ جَمَعْتُ فيه آياً من القرآن؛ لتَعرِفَ بها فصل ما بينَ الإيجاز والحَذْف، وبين الزّوائد والفُضول والاستعارات، فإذا قرأْتها رأيت فضلها في الإيجاز والجَمْع للمعاني الكثيرةِ بالألفاظ القليلة على الذي كتبتُهُ لك في بابِ الإيجازِ وترك الفضول، فمنها قوله حينَ وصفَ خمرَ أهلِ الجنّة:"لاَ يُصَدَّعُون عَنْها وَلاَ يُنْزِفون" وهاتان الكلمتان قد جَمَعتا جميعَ عُيوبِ خمرِ أهلِ الدُّنيا»[4]، وقد رأى أهل الاختصاص أن الكتاب المشار إليه هنا هو كتابه "نظم القرآن" وهو كتاب مفقود، ولكن ما يهمنا هو تلك الإشارات البلاغية التي صرّح أنه ضمّنها كتابه.

وقد توالت الكتب والرسائل في إعجاز القرآن الكريم والتي تبحث وجوه البلاغة القرآنية، وتسعى إلى إثبات الإعجاز من وجوه عدة، أبرزها الوجه البلاغي «والذي يتتبع البلاغة في كتب الإعجاز، ولا سيما دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، يدرك تمام الإدراك أنّ تلك الموضوعات أصبحت على درجة من النضج تستطيع معها أن تستقل وتفرد بالبحث والتأليف على نحو ما آلت إليه فيما بعد»[5]، وذلك ما وقع حقا، إذ إنّ كتاب "دلائل الإعجاز" والذي يظهر من عنوانه أنه استقصاء للاستدلال على إعجاز القرآن الكريم، حين تصفحه نجده كتاب بلاغة ونقد طرح فيه صاحبه الكثير من القضايا التي رسمت خارطة البحث البلاغي فيما بعد.

ليس هذا فحسب بل قد جُعِلت البلاغة رتاجا لولوج فهم القرآن وبابا لتدبّر معانيه وإدراك مواطن الإعجاز فيه، وهذا ما استهل به أبو هلال العسكري كتابه: «أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفظ –بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة [...] وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف»[6]، فالعلم بفنون البلاغة علم بأبواب الإعجاز، والجهل بها جهل بما خصّ به الله عزّ وجلّ كتابه من تصاريف البلاغة التي وقع بها إعجازه من تلك الجهة.

2-البلاغة وقضايا علم الكلام:

لا تكاد تنفصل قضايا علم الكلام عن قضايا إعجاز القرآن الكريم، لأنّ مدار القضايا الكلامية كانت هي الأخرى حول القرآن الكريم، إذ ليس دارسو الإعجاز إلا أعلام الفرق الكلامية، ولكن طبيعة المنهج والأسئلة المطروحة كانت تختلف بين المجالين، فوسيلة المتكلمين إعمال العقل في جلّ القضايا المطروحة ذات الطابع العقائدي، والتسلح للذود عن حياض الإسلام بالأدلة القاهرة والحجج الدامغة، «وقد كان لطائفة المتكلمين فضل عظيم وأثر بارز في البلاغة العربية، وربما كان لهم من الأثر أكثر مما كان للغويين والنحاة، وسبب ذلك أنّ هذه الطائفة لم تكن محافظة مثل طائفة اللغويين تعتدّ بنماذج الشعر القديم وحدها، بل كانت تنظر إلى النماذج الحديثة أيضا، بالإضافة إلى تناولها القرآن للنظر في بلاغته ومدار فصاحته وتأويل كلمه»[7]، فمست معهم البلاغة على مستويين:

الأول: هو شحذ قدراتهم البلاغية الذاتية من أجل المناظرة والمجادلة ودحض حجج الخصوم وقهرهم، فجوّدوا مخارجهم وحسنوا طرق آدائهم، وراحوا يلقنون تلك المبادئ لمن يأخذ عنهم ويتتلمذ على أيديهم «فكثر الحديث في قوة الحجج، وفي وضوح العبارة ودقتها، وفي جمارة الصوت، وفي ملامح المتكلم وفي ملاءمته بين كلامه والمستمعين،

وكان يُعنى كلّ صاحب نحلة فيهم أن يجمع من حوله الشباب وأن لا ينصرفوا إلى خصومه، فأخذوا يقفونهم على النقص في الحجج والأدلة، والنقص في الأداء والبيان، كما أخذوا يقفونهم على أسرار المهارة في الإقناع والظفر بالخصوم وأسرار البراعة في القول»[8]، وهذا ما يمكن تسميته بالبلاغة التطبيقية، وهو أهم جانب توّجب على معلّم البلاغة ومتعلّمها العناية به.

الثاني: وهو ما تعلق بتأويل النصوص القرآنية، وهو النهج الذي انتهجه أرباب الفرق الكلامية، خاصة المعتزلة منهم حينما اضطروا إلى تأويل «كثير من الآيات التي يتنافى ظاهرها مع أصولهم العقائدية –خاصة مبدأ التوحيد- فحملوا هذه النصوص على المجاز، وأصبح هذا المظهر اللغوي الموضوعي دعامة لمبادئهم مما جعلهم يهتمون به ويفيضون في شرحه»[9]، وهذا الباب الواسع انضوت تحته الكثير من الأبواب البلاغية، إن لم نقل كان مجالا رحبا للبحث حتى في العصور المتأخرة، كالبحث في الحقيقة والمجاز، وما دار من مشادات بين مجوّزي المجاز ومنكريه.

3-البلاغة ونقد الشعر وتصنيف الشعراء:

اهتم العرب بلغتهم واحتفوا بها أيّما احتفاء وقد تجسدت صورة ذلك الاحتفاء في احتفائهم بالشعر والشعراء والخطباء، وقد وصف ابن خلدون ذلك بقوله: «فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم، وشاهد صوابهم وخطئهم، وأصلا يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم، وكانت ملكته مستحكمة فيهم»[10]، فلم يكن للعربي في فيافي الصحراء إلا فرس وسيف وقصيدة، ثلاثة خلّان ترافقه في حلّه وترحاله؛ ومن مظاهر ذلك الاهتمام أيضا أنهم أقاموا للكلام محافل وأسواقا يلقون فيها أجود ما نظموا، لتكون تلك البيئة هي الأنسب لاحتضان القرآن الكريم ببلاغته الباهرة، وبيانه الساحر .

ومن صور اهتمامهم كذلك أنهم نسجوا حوله الأساطير وربطوه بالخوارق من الأفعال، إذ اختلقوا صلة بين الشعراء وعوالم الجن، وقد رووا من صور اهتمام العرب بلغتهم أنهم كانوا يكتبون المعلقات بماء الذهب على ستائر الديباج ويعلقونها على جدار الكعبة وهي بيت الله الحرام، ومع ما في القصة من مبالغة جعلتها أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع إلا أنها تدل على مكانة القصيدة في أمة كانت فطرتها الكلمة الجميلة، وسليقتها البيان الآسر.

وفي ظل ذلك الاهتمام كانت تمارس عمليات نقدية بسيطة على النصوص الشعرية، وقد كانت قائمة «على الإحساس بأثر الشعر في النفس، وعلى مقدار وقع الكلام عند النقد، فالحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفا، والعربي يحس أثر الشعر إحساسا فطريا لا تعقيد فيه، ويتذوقه جبلة وطبعا، وعماده في الحكم على ذوقه وعلى سليقته، فهما اللّذان يهديانه إلى الجيد من فنون القول، وإلى المبرز من الشعراء»[11]، وذلك الإحساس ليس إلا بذرة للحس البلاغي بجمالية النصوص.

واستمر الأمر على حاله بعد العصر الجاهلي كذلك، إذ مازال العربي محافظا على سليقته، نقي الفطرة سليم الذوق، إلى أن فشا الاختلاط وبدأت تلك الذائقة الفطرية في التلاشي تدريجيا، فكان لابد من البحث عن ضوابط، تلك الضوابط التي لم تجتمع في مؤلف واحد، بل هي ما يمكن إيجاده مبثوثا هنا وهناك في المؤلفات اللغوية والأدبية، فكانت «مادة النقد موزعة في كتب اللغة والبلاغة، وهي مختلطة معها اختلاطا شديدا، فالكتاب الواحد يتنازعه أكثر من تخصص، وقد يعود هذا إلى أن ظاهرة التخصص لم تعرفها الحضارة العربية الإسلامية بعد، ولذلك وقع الخلط بين علوم مختلفة»[12]، فكأنّ البلاغة نشأت في أحضان النقد أو أنّ النقد نشأ في أحضان البلاغة.

ولم يقف الأمر عند تقييم النصوص ومحاولة الحكم عليها فنيا، بل تعدى الأمر إلى تصنيف الشعراء وترتيبهم وفق معايير متعددة، والذي تجلى بادئ الأمر في المفاضلة بين الشعراء، إذ تروى العديد من تلك المفاضلات كالتي وقعت بين الأعشى- وحسان بن ثابت[13]، ثمّ تطورت تلك المفاضلات في عصر التدوين فألفت المصنفات في طبقات الشعراء، ذلك التصنيف الذي لا يخلو هو الآخر من البعد البلاغي، إذ نجد ابن سلّام في تفضيله لامرئ القيس يقدم مجموعة من المعايير التي يمكن اعتبارها بلاغية بالدرجة الأولى، وذلك أنه «سبق العرب إلى أشياء ابتدعها استحسنها العرب واتّبعته فيه الشعراء، منه استيقاف صحبه، والبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ، وشبّه النساء بالظباء والبيض، والخيل بالعقبان والعصي-، وقيّد الأوابد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب وبين المعنى، وكان أحسن طبقته تشبيها»[14]، فالدعامتان الأساسيتان لتفضيله هما: السبق إلى بعض المعاني، وجودة التشبيه، وهو معيار بلاغيّ بامتياز.

4-البلاغة وقواعد الكتابة وشروط الكتّاب:

رغم أن الكتابة احتلت المرتبة الثانية بعد الشعر عند العرب، إلا أنها تحظى وأهلها بمكانة خاصة، فإن كان الشعر وسيلة الشعراء للوصول إلى بلاط الخلفاء والأمراء من أجل التكسب، فإن الكتابة كانت وسيلة الكتاب للوصول إلى دواوينهم بامتهان حرفة الكتابة، بل قد تمكنهم من الوصول إلى أعلى المراتب وأشرفها، وقد سطّر عبد الحميد الكاتب دستورا للكتّاب، حثّهم فيه على التحلي بمجموعة من الفضائل والالتزام بعدد من القواعد، كما أوصاهم بتعلّم العربية –علوم العربية- قائلا: «ثمّ العربية، فإنها ثقاف ألسنتكم، وأجيدوا الخط، فإنه حلية كتبكم، واروووا الأشعار، واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها، فإنّ ذلك معين لكم على ما تسمون إليه بهممكم...»[15]، ليصل في موضع آخر إلى القول: «وليقصد في كلامه، وليوجز في ابتدائه، وليأخذ بمجامع حجته، فإنّ ذلك مصلحة لعقله، ومجمّة لذهنه، ومدفعة للتشاغل عن إكثاره»[16]، فإن كانت النصائح في القول الأول مرتبطة بتحصيل الملكة اللغوية عامة، فإن القول الثاني مرتبط بالبلاغة، من حيث القدرة على إيصال الفكرة إلى المخاطب على أكمل وجه.

وقد كثرت تلك الملاحظات للكتاب، بل قد نجد من أفرد لها كتابا خاصا، كما فعل ابن قتيبة في أدب الكاتب، ومن الوصايا ذات المنحى البلاغي قوله في مقدمة كتابه: «ونستحب له أن يُنزّل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وألا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس خسيس الكلام»[17]، وليس هذا إلا جماع البلاغة، وهي أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال.

كما تعرّض أبو هلال العسكري لتلك الشروط في الفصل الذي خصصه لـ"ما يحتاج الكاتب إلى ارتسامه وامتثاله في مكاتباته" فرأى أنّ للإطالة مواضعها التي يجب ألّا تؤدى إلّا بها، وأن للإيجاز مواضعه التي لا يؤدى إلا وفقها، كما قد تكون الكناية والتورية أنسب من التصريح، وقد جمع كلّ ذلك في قوله: «فأول ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك مكاتبة كلّ فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوتهم في المنطق»[18]، وقدّم شواهد لذلك من مراسلات رسول الله ﷺ.

وفي كتاب المثل السائر ذكر ابن الأثير مجموعة العلوم توجّب على الناظم والكاتب معرفتها والإحاطة بفنونها، وفي ثنايا كل ذلك قدّم لنا فنون البلاغة وفروعها، في ثوبها القشيب، يستفيد منها المبدع، كما يفيد منها الناقد[19].

هذا لنقول أن التأليف البلاغي لم ينشأ مستقلا عن العلوم والفنون ذات الصلة، بل قد نشأ بين أحضان الدراسات القرآنية وعلم الكلام، كما لا يمكن أن نفصله عن الشعر والنثر ونقدهما، ولولا ضيق المقام لأوردنا من الشواهد والأدلة ما لا يمكن التشكيك معه في ترابط البلاغة معها جميعا، وفي الوقت ذاته كانت خلقتها تكتمل وصورتها تتشكل لتولد علما مستقلا له حدوده الخاصة وأقسامه وتفريعاته.

منهج التأليف في كتب البلاغة:

انتقلت الحضارة العربية من الشفهية إلى التدوين، وانتقلت معها الملاحظات الذوقية إلى مؤلفات ضخمة جُمِع فيها ذلك الشتات اللغوي الثري، الذي ما فتئ ينقسم إلى علوم متخصصة تدريجيا، فكان النحو والبلاغة والعروض والنقد، وغيرها، ولا يمكن أن نقول أنّ ذلك الانقسام كان سهلا يسيرا، ولكنه كان انفصالا عسيرا شابه انتزاع الروح من الجسد، ولذلك عسُر معه تحديد البداية الفعلية لأيّ علم من تلك العلوم، وإن كان مجال حديثنا عن البلاغة هذا الكائن الذي اختص عن بين بقية الكائنات أن خرج إلى الحياة من أرحام متعددة، والمألوف أنّ الرحم الواحدة قد يخرج منها الكائن أو الكائنان أو أكثر، إلا البلاغة فإنها خرجت من النحو والنقد ودراسات الإعجاز وعلم الكلام وما ترجم عن اليونان والفرس والهند، وغيرها، وقد يكون هذا هو السبب الذي نبرر به حضور أطيافها جميعا في ذلك الكائن المسمى "بلاغة".

لذلك فإنه من الصعوبة بمكان أن نجد مؤلفا خاصا بالبلاغة حدّد فيه صاحبه غايته وبيّن منهجه، ففي المراحل الأولى للتأليف البلاغي نجد كتبا ذات غايات وأهداف بعيدة المدى، سامقة الطموح، فما كان يهدف إليه الجاحظ (ت:255هـ) في كتابه "البيان والتبيين" هو الرد على الشعوبيين، وإثبات فضيلة البيان للعرب، وأنهم امتازوا بهذه الخصيصة دون غيرهم، فتصفح الكتاب يدلّ على أنّ المؤلف «بالإضافة إلى المنحى الأدبي والفني، يتحرك من منطلق عرقي ومذهبي، فالتصدي لمطاعن الشعوبية بإبراز عارضتهم في البيان والخطابة أمر واضح صريح لهج به الجاحظ في نخوة واعتزاز»[20] لذلك نجده يوالي بين

النصوص التي لا تعتبر إلا حججا ضمن العملية الحجاجية التي ضمنها كتابه من مبتداه إلى خاتمته.

ولا يكاد ابن قتيبة (ت:279) يحيد عن ذلك النهج، إذ نصّب نفسه مدافعا عن القرآن الكريم رادّا على أولئك الذين سمّاهم الطاعنين ووصفهم بالملحدين، فقد ذكر الغاية من تأليف كتابه في قوله: «فأحببت أن أنضح عن كتاب الله وأرمي من ورائه بالحجج النيّرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفت هذا الكتاب جامعا لتأويل مشكل القرآن»[21] ولذلك نجده منبريا للحجاج من أول كتابه إلى آخره كذلك، وما جاء من بلاغة جاء في ثنايا تلك العملية الحجاجية الكبرى.

وإذا انتقلنا إلى علم آخر من أعلام البلاغة، وهو أبو هلال العسكري (ت:395هـ)، فسنجد أنه كان أكثر وعيا بالمنهج من سابقيه، ولذلك نراه يحدد طبيعة المنهج الذي سيكتب به «وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين، وإنما قصدت فيه مقصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب»[22]، فقد أدرك التميز بين مذهبين في الكتابة البلاغية والأمر طبيعي بالنسبة للترتيب الزمني، فالمذهب الأول: مذهب المتكلمين والذي يمكن أن نقول أنه لابس دراسات الإعجاز، والمذهب الثاني هو مذهب أهل الأدب والذي لابس نقد الشعر والنثر.

ومع عبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ) ظهرت ملامح العلم وتجلت قساته، واشتدّ معه وعي صاحب الدلائل والأسرار بما هو مُقدم على الكتابة فيه، فخصّص الأسرار لعلم البيان، وخصّ الدلائل بعلم المعاني، هذا الأخير الذي صدّره بمقدمات حاول من خلالها ضبط غايته وتحديد هدفه وتسليط الضوء الكاشف على تصوره ورؤيته للإعجاز، إذ نجده يبدأ بالحديث عن فضل العلم عامة وتفاضل العلوم فيما بينها، ليمنح علم البيان شارة التميّز، فلا نرى «علما هو أرسخ أصلا، وأبسق فرعا، وأحلى جنًى، وأعذب ورداً، وأكرم نتاجا، وأنور سراجا، من علم البيان»[23]، لأنّه سبيل لاكتشاف أسرار الإعجاز، ولم يكن تطرّقه للحديث عن النحو والشعر إلا لردّ الزائغين من الذين يذمونها إلى جادة الطريق، إذ كيف تحصل معرفة بكتاب الله عزّ وجلّ لمن أعرض عن تعلّمها أو صدّ عن ذلك، وبها تُدرك الغاية ويُظفر بالحجة[24]، جاعلا من ذلك مدخلا لما سيقبل على طرحه في أبواب الكتاب، مبتدئا بتعريف البلاغة والمفاهيم المحايثة لها كالفصاحة والبراعة والبيان، تمهيدا لبسط الكلام في النظم، فكان الكتاب – دلائل الإعجاز- فتحا بلاغيا، وتأسيسا معرفيا لعلم المعاني في ظلّ نظرية لغوية سُمّيت بـ"نظرية النظم" هي خلاصة ما بحثت فيه تلك العقول النيّرة التي سبقت الجرجاني ساعية لاكتشاف سرّ إعجاز القرآن، واستطاع الجرجاني أن يصوغها ويستدلّ على وجوهها وتقليباتها بآيات الذكر الحكيم، وأبيات الشعر العربي الفصيح.

ويكاد يجمع أهل العلم على أن البلاغة لم تسر بعد عبد القاهر الجرجاني بما يتلاءم مع عظم الكنز الذي توارثوه عنه، مع أنهم تلقفوه بأيدٍ وفية أمينة، وعقول وصل بها الإعجاب إلى حدّ الانبهار، فلم يزد عندهم الأمر عن الشرح أو التلخيص المُطعّم بأثر الفلسفة والمنطق، فـ«تحجرت قواعد البلاغة وتجمدت، وبدا كأنه أصبح من المتعذر أن تعود إلى سيولتها القديمة التي كانت تعدها لأن تنمو وأن تزداد وأن تتكاثر أثداؤها الغاذية»[25]، إلى أن وصل ذلك الميراث إلى السكاكي الذي عُرف بترتيب أبواب البلاغة على ما هو بين أيدينا اليوم من معانٍ وبيانٍ وبديع، وذلك في كتابه "مفتاح العلوم" الذي قسمه إلى أربعة أقسام: الأول للصرف والثاني للنحو والثالث للبلاغة والرابع للعروض، وما يهمّنا هو القسم الثالث، أي ذلك الذي خصّصه للبلاغة، وفيه «استطاع أن ينفذ من خلال الكتابات البلاغية قبله إلى عمل ملخص دقيق لما نثره أصحابها من آراء وما استطاع أن يضيفه إليها من أفكار، وصاغ ذلك كله صياغة مضبوطة محكمة، استعان فيها بقدرته المنطقية في التعليل والتسبيب وفي التجريد والتحديد والتعريف والتقسيم والتفريع والتشعيب»[26]، وأيا كان ما قيل عن بلاغة السكاكي من جمود وجفاف إلا أنّ ما يهمنا في هذا الموضع هو وضوح المنهج عند صاحبها، ومعه تحولت البلاغة التي تبحث في المزية والتي تعتمد على الذائقة إلى علم له ضوابطه وقواعده.

ونقتصر على هذه النماذج عائدين إلى الجاحظ ومنهجه في تأليف كتابه البيان والتبيين:

منهج الكتابة عند الجاحظ في البيان والتبيين:

يعدّ كتاب البيان والتبيين من المؤلفات البلاغية الرائدة، والتي يمكن أن يفتتح بها التأريخ للتأليف البلاغي لسبق صاحبه في التعرض لكثير من القضايا ذات الصلة المباشرة بالقضايا التي أصبحت فيما بعد من صلب موضوعات البلاغة، ناهيك عن تقديمه الكثير من التعريفات للبلاغة، سواء العربية منها أو التي تنسب إلى العجم كالفرس والهند والروم؛ ومع كلّ هذا أورد نصوصا

نثرية وأخرى شعرية -على قلتها مقارنة مع الأولى- مستشهدا بها على ما يطرحه من أراء في ثنايا الكتاب.

والكتاب نال إعجاب السابقين كما فاز بالحظوة بين المتأخرين، وإليه يشير أبو هلال العسكري في قوله: «وهو لعمري كثير الفوائد جم المنافع؛ لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة، والفقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء، وما نبّه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة، وغير ذلك من الفنون المختارة، ونعوته المستحسنة، إلا أنّ حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه، ومنتشرة في أثنائه، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير»[27]، فالكتاب كما هو ظاهر من وصف أبي هلال يحتاج إلى تصفح دقيق وبحث عميق من أجل إيجاد المواضيع ذات الصلة المباشرة بالبلاغة.

وهذه الملاحظة قد سرى طيفها عند كلّ من تناول كتاب "البيان والتبيين" إفادة أو دراسة، وهو ما يستفزنا للتساؤل عمّا إذا كان هناك رابط بين ما جمعه الجاحظ في كتابه أم أنها مجرد شذرات أدبية وبلاغية راقت له فجمعها بلا ترتيب ولا تنسيق؟ وهل كانت غاية الجاحظ التنظير لما سمّاه "بيانا وتبيينا"؟ أم أنّه كان مدفوعا برغبة جامحة في جمع ذلك التراث الشفهي والنصوص المروية خشية ضياعها وما جاء بين ثنايا تلك المرويات من بلاغة لم يأت إلا من باب الملاحظات العابرة؟ هل سمة الخلط وغياب المنهج هي الصفة المناسبة التي توصف بها مؤلفات الجاحظ وبقية كتب التراث التي ألفت على تلك الطريقة؟

ثمّ يكون السعي إلى تقديم الإجابات متنازعا بين قطبين، يغلب على أحدهما العاطفة وشدة الوفاء للتراث، ويغلب على الآخر الطابع العلمي الموضوعي، فنقول في الأول: كيف يُظن بالجاحظ وغيره من أعلام الأمة سوء مع ما جمعوا من معرفة موسوعية، وطول تمرس بالعلوم، وقوة حافظة، وسعة اطلاع مع إخلاص النية وتجرد العزيمة في سبيل تحصيل العلم وبذله، ويمكن أن نقول في الثاني إنّ ما وُسم به الكتاب كان طبيعيا بالموازاة مع العصر الذي كتب فيه، فقد كان التدوين في بداياته، ولم يكن للعرب عهد طويل به، فلم تخضع كتبهم لتبويب ولا لترتيب، بل طبعتها الشمولية وغلب عليها الاستطراد الذي يمكن أن يُتخذ منهجا في الكتابة، إذ يراه البعض منهج الأقدمين في التأليف متخذين الجاحظ قدوة لهم، فهو قد مثّل «نموذج العرب في منهج التأليف الأدبي استطرادا، وتحررا من قيود وحدة المواضيع، والغاية القصوى من كلّ ذلك لا "الأخذ من كل شيء بطرف" بل تقديم شتات الأطراف من كلّ الأشياء تقديما مزيجا خليطا مما قد يتراءى للقارئ المعاصر ضربا من "الفوضى"»[28]، فقد يكون الوسم بالخلط والفوضى متعلقا بالقارئ ومدى محدودية أو اتساع زاوية التلقي عنده أكثر مما هو متعلق بالكاتب، وما بسطه من فنون في ثنايا كتابه.

وللخروج من هذا التضارب ارتأيت أن أورد نصوصا للجاحظ نفسه تثبت وعي الرجل التام بما كان يكتب وربطه أول الكتاب بآخره، منها تعريفه للبيان الذي رأى أنّه «اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، [...] لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام»[29]، فمدار الأمر وقطب الرحى في تحديد العلاقة بين ركني العملية التواصلية من "متكلم وسامع" هو "الفهم والإفهام" فبأي وسيلة حصلت الغاية كان ذلك هو البيان في ذلك الموضع، فهو لم يذكر لا تصريحا ولا تلميحا أنه يريد أن يؤلف كتابا في البلاغة، وإنما ذكر البيان وأشار إلى البلاغة فيما بعد وهو على وعي تام بما بين المصطلحين من فرق، فيمكن أن نقول إنّ البلاغة خمس البيان

وممّا يزيد من يقين الباحث أن الجاحظ كان على وعي تام بما يكتب ووفق منهج ارتضاه قوله بعد تعريف البيان وذكر وسائله: «وكان في الحق أن يكون هذا الباب في أوّل هذا الكتاب، ولكنّا أخرناه لبعض التدبير»[30]، فقد يقول قائل كان حريا بالجاحظ وهو مقبل على تأليف كتاب في البيان أن يستهله بتقديم تعريف له، ولكن الجاحظ كان مدركا تمام الإدراك علة تأخيره إلى ذلك الموضع، فلو عدنا إلى مقدمة الكتاب لوجدنا الجاحظ في استفتاحه الكتاب يتعوذ بالله من عيبين من عيوب القول وهما على طرفي النقيض، أولهما "السلاطة والهذر" وثانيهما "العيّ والحصر" ثمّ استطرد بنصوص شعرية وأخرى نثرية استشهد بها على ذمّ العرب العيّ وجعله منقصة لخصال الرجال، كما نوّه بفضيلة البيان التي هي منحة إلهية وعطية ربانية مستشهدا على ذلك بآيات من القرآن الكريم، وغيرها من المسائل التي طرحها في مستهل كتابه، فكأنّه أراد أن يضع مدخلا تمهيديا للكتاب ولكن خاصية الاستطراد منعته ذلك، فراح يذكر أشعارا، ويسرد

قصصا، ويفصّل القول في عيوب النطق[31]، وكلّ ذلك يحوم حول حمى البيان ولا يكاد يفارقه.

ويمكن أن نحدد المحاور التي دار حولها الكتاب كالآتي:

1-البيان: حدّه وحدوده: قدّم الجاحظ تعريفا للبيان، ثمّ تعرّض بالذكر لوسائله التي هي «خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثمّ الإشارة، ثمّ العقد، ثمّ الخط، ثمّ الحال التي تسمى نصبة»[32]، ولمّا كان شغله الشاغل البيان باللغة أعرض عن بقية الأصناف، ليفصّل القول في البيان باللغة، وتعدّ البلاغة وسيلة البيان، كما تعرض للجدل وفنون مقارعة الخصوم.

2-نماذج البيان: أورد الجاحظ نصوصا كثيرة ليستدل بها على فنون البيان وبراعة أصحابها في الإبانة عمّا في ضمائرهم، فقد أورد خطبا وأحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلّم، وخطبا لصحابته، وأخرى لبلغاء العرب وفصحائهم، وقطوفا من فنون الكلام العرب شعرا ونثرا.

3-معيقات البيان: وفيها ذكر حروف اللثغة، وعيوب النطق وآفات الكلام كالعيّ واللحن، وبعض النقائص المتعلقة بشخص المتكلم كالحمق والخرق والتشدق في الكلام، وكثرة الحركة في الخطبة، وغيرها.

4-الوسائل غير اللغوية المساعدة على البيان: ومع تركيز الجاحظ على البيان باللغة إلا أنه أشار إلى قدرة الصمت على الإفهام، وأنه في بعض المواضع يكون أبلغ منه، كما عدّد وسائل غير لغوية أُعتمِد عليها في الخطابة، فقد «كانت العرب تخطب بالمخاصر [كالعصا والمقرعة والعكازة... (الهامش)] وتشير بالعصي والقنا»[33]، ولبس العمائم ونظافة الثوب وحسن المنظر.

5-الردّ على الشعوبية: ولعلّه المحور الأهم ومن أجله وُضع الكتاب، فقد كان سعي الجاحظ حثيثا لإثبات أن البيان خصيصة العرب وبه اصطفاهم الله وفضّلهم، رادّا على الشعوبيين مزاعمهم في ازدراء العرب والانتقاص من قدرتهم على البيان.

وقد أدرك الجاحظ أنه أطال في كتابه وفي حديثه عن البيان، ولذلك قدّم نصيحة لمن وضع كتابا فأطال فيه، و«**وجه التدبير في الكتاب إذا طال**، أن يداوي مؤلفه نشاط القارئ له، ويسوقه إلى حظه بالاحتيال له، فمن ذلك أن يخرجه من شيء إلى شيء، ومن باب إلى باب، بعد أن لا يخرجه من ذلك الفن، ومن جمهور ذلك العلم»[34]، وفي هذا النص حجة أخرى تثبت وعي الجاحظ بما كان يفعل، وإدراكه التام كيف كان يكتب، فنظرا لشساعة الموضوع وتشعبه أطال فيه، ولمّا خشي- أن تكون الإطالة سببا في تشتت ذهن القارئ أو السامع ومدعاة للملل والنفور اعتمد الاستطراد ونوّع في استخدام الأساليب، وتفنن في توظيف النوادر تخفيفا وتنشيطا لذهن القارئ، دون الخروج عن الموضوع العام للكتاب.

ميراث الجاحظ بين يدي المحدثين:

تلقف المحدثون كتب الجاحظ عامة والبيان والتبيين على وجه الخصوص بشيء من اللهفة، ولذلك أولوه عناية فائقة، فتناولوه بالدراسة والقراءة، وإسقاط المناهج الحداثية على مادته، والسعي إلى استخراج ملامح وإرهاصات النظريات المعاصرة من بين ثنايا فصوله، ومن تلك الدراسات –على كثرتها- ما قام به كل من مُحَمَّد الصغير بنّاني "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين"، كما خصص حمّادي صمود بابا كاملا لجهود الجاحظ في كتابه "التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)"، وفي ثنايا العمل الذي قام به مُحَمَّد العمري لم يكن بوسعه هو الآخر إلا أن يضع رحاله على ضفاف "ابن بحر" وذلك في مؤلفه "البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها".

1-مُحَمَّد الصغير بناني، موسوعية الجاحظ وريادته:

انطلق مُحَمَّد الصغير بناني من التسليم بموسوعية الجاحظ، وشساعة ثقافته، تلك الصفات التي تجلّت «في إنتاجه وتكوينه، فالجاحظ عالم ومفكر وناقد ولساني وبلاغي وأديب»[35]، والجاحظ متكلم معتزلي، بل كان صاحب مدرسة خاصة في الاعتزال، إذ نجد له آراء خاصة في مذهبه.

وقد بنى بناني فكرته في الكتاب على إبراز الأركان الثلاثة –الأكثر أهمية- في كتاب البيان والتبيين، وتلك المعالم الثلاثة هي:

أ-المعلم اللساني: فمن خلال تتبع كتاب البيان والتبيين يتجلى الجانب اللساني في فكر الجاحظ، والذي انبنى على وعي تام منه بموضوع العلم وطبيعته، فكانت لسانياته «لسانيات علمية تجريبية، نشأت في ظروف شبيهة بالظروف التي نشأت فيها اللسانيات الحديثة، فاعتبار الكلام البشري رسالة (message) تبلغ من المخاطب على غرار الرسالة الدينية أدى بالجاحظ إلى الغوص بعيدا في قضايا التوصيل وشروط التأدية»[36]، فنجده توصل لتحديد مفهوم الحرف ووظيفته والعمل على تحليله،

وتفطن إلى التمييز المبكر بين وظيفتي الاختيار والتركيب، وحاول أن يقول كلمة الفصل في العلاقة بين اللفظ والمعنى، كما لم يفته التطرق لأنماط التواصل، وأركان العملية التواصلية، وغيرها من المواضيع ذات الصلة المباشرة بمواضيع علم اللسانيات الحديثة.

وما جعل تلك النظرية اللسانية تغيب في نظر الكاتب ولم يلتفت إليها الباحثون -على كثرة من تناول فكر الجاحظ- هي كونها مبثوثة في تضاعيف الكتاب، تحتاج ممن أراد التنقيب عنها البحث بين ثنايا صفحات الكتاب وقراءة ما بين الأسطر لترتسم معالمها بين يديه[37].

ب-المعلم البلاغي: بلاغة الجاحظ شمس بواسطة النهار لا تحتاج إل دليل للبرهنة على وجودها، ولّما لم تكن غايته التنظير للبلاغة، نجدها هي الأخرى متفرقة بين فصول الكتاب بحسب حاجته إليها، ما جعل البعض يصفها بالقصور، ولكن بناني يرى أن «إبعاد النقاد لهذه البلاغة عن إطارها الكلامي هو [...] السبب الأول في سوء التفاهم بين الجاحظ ونقاده»[38]، فبلاغته بلاغة عامة نشأت في إطار المنظومة الفكرية التي ينتمي إليها.

وعمل بناني على توضيح الفروق بين المصطلحات الثلاثة: بيان-تبيين-بلاغة عند الجاحظ، الذي كانت تتداخل عنده حينا وتتباين أحيانا أخرى، ولكن تميز الجاحظ بين هذه المصطلحات الثلاثة لا يخرج عن الإطار العام في الكتاب وهو الرد على الشعوبية، ولا عن توجهه الكلامي.

ج-المعلم الأدبي: وهو الجانب الثالث الذي عمل الكاتب على تسليط الضوء عليه في كتاب البيان والتبيين، وهو الجانب الذي وقع عليه الإقرار والاتفاق لدى النقاد ومؤرخي الأدب، ولكن الباحث مع ذلك قد اجتهد في توضيح معالم رؤية أدبية خاصة بالجاحظ، فمن خلال دراسته للجانب البلاغي اكتشف «نظرية كاملة للجاحظ في الأدب، وهي نظرية لا تقل أهمية عن النظريات التي بدأت تشيع منذ سنوات في الدراسات الأدبية»[39]، فالأدب وفق الرؤية الجاحظية لا ينفصل هو الآخر عن الإطار العام لفكر صاحبه الكلامي الاعتزالي،وبالتالي يمكن أن نقول إن مُحَمَّد الصغير بناني يخالف كل من يرى بأن كتابة الجاحظ لا تخضع إلى أي منهج، وإن كتاب البيان والتبيين يشوبه شيء من الفوضى والاضطراب، ليقرّ أن رأيهم هذا كان بسبب قصور منهم في تحقيق رؤية شاملة لكتابة الجاحظ ضمن إطارها المعرفي العام.

2-حمادي صمود، الجاحظ ومركزيته في تاريخ البلاغة العربية:

نظرة حمادي صمود –هو الآخر- كانت نظرة خاصة للجاحظ وتراثه البلاغي، وتتجلى تلك الخصوصية من خلال جعل الجاحظ نقطة الارتكاز في التأريخ للبلاغة العربية، وذلك أنه قسّم مراحل البلاغة العربية إلى ثلاثة مراحل، فالأولى مرحلة ما قبل الجاحظ، والثانية: الحدث الجاحظي، والثالثة: مرحلة ما بعد الجاحظ، فكما نلاحظ تمثل مرحلة الجاحظ مرحلة انتقال نوعي في تاريخ البلاغة العربية، فهي مرحلة التأسيس الفعلي لها، ويبرر رؤيته تلك بقوله: «فمؤلفاته تعتبر أقدم آثار وصلتنا لها علاقة بأفانين التعبير، وهو كذلك صاحب أول تأليف يخصص لدراسة الكلام البليغ وضوابط المستوى الفني من اللغة، فلم يقتصر على الأحكام العامة الذوقية بل دعم ذلك بأسس نظرية هامة وتفكير بلاغي يدلان على أنّ جهوده في الموضوع تجاوزت مجرد الرواية والجمع إلى الخلق والابتكار»[40] فكتاب البيان والتبيين يسمو على أن يكون مجرد كتاب جمع للروايات والمنتخبات الأدبية، إلى كونه يمثل «الذاكرة التي حفظت لنا أطوار العلم الأولى وفتحت السبيل إليها كما حملت ملامح ما تلاها وتولد عنها»[41]، ومع غزارة مادته إلا أنّه مثّل بحق ثقافة الجاحظ وتوجهه المعرفي.

إلا أن صمود مع إقراره بتفرد الجاحظ وتميّز ما قدمه، يشير إلى ارتباكٍ ما عنده بين الإرادة المنهجية والوعي بها وبين الإنجاز الفعلي واللذين لم يتوافقا حسب رأيه، ولعل ذلك عائد إلى «تنوع المادة وتعدد مواردها، وعدم تقيد صاحبها في التأليف بينها بمنهج محكم يجنبه الفوضى والتداخل»[42]، فكأنّ الجاحظ فُتن بالجمع أكثر من أي شيء آخر، وما تبقى كان عبارة عن ملاحظات عابرة عن البيان والبلاغة وبعض الأحكام النقدية.

ويصر- حمادي صمود على وعي الجاحظ بما يريد أن يكتب فيه، فقد كان «على بينة من غزارة المادة التي يعالجها وتشعبها، حادّ الوعي بضرورة ترسّم منهج محكم يمكّن من إخضاعها وسوقها إلى القارئ في أبواب واضحة الفواصل متينة الروابط. إلا أن الإنجاز الفعلي يبقى دون الوعي المنهجي النظري»[43]، فغياب المنهج عن كتاب البيان والتبيين ليس عن جهل من الجاحظ ولا عن عدم إدراك لضرورة الكتابة وفق منهج مضبوط، وإنما سعى الجاحظ جاهدا إلى تنظيم أبواب الكتاب وضبط أقسامه ولكن قد

حال بينه وبين الوصول إلى وضع كتاب وفق المنهج الذي تصوره غزارة المادة وانشغالات الجاحظ الفكرية التي يسعى إلى إقرارها من خلال كتابه، ولذلك اجتهد حمادي صمود في إعادة ترتيب مادة الكتاب الذي وسم بالفوضى، تلك الصفة التي مثلت عند البعض عائقا يحول بين القراء وبين الاستفادة من مادته الغزيرة النافعة، وكان صمود مترددا في إلصاق صفة الفوضى بالكتاب ولذلك وصفها بـ"الفوضى الظاهرية"[44] فعمل على إيجاد الخيط الرابط بين فصول الكتاب.

3-محمد العمري، الجاحظ مقروءا مع ابن وهب:

تناول محمد العمري في قراءته للبلاغة العربية جهود الجاحظ البلاغية ممثلة فيما قدمه في كتاب "البيان والتبيين" هذا الكتاب الذي أشار إلى أنّه يمثّل عند كثير من الدارسين «مجموعة من المعارف المحصلة نتيجة الاستطرادات، أي أنه ليس ذا إستراتيجية محددة ومضبوطة»[45]، فالذي يشير إليه القول هو التأكيد على غياب منهج واضح في كتاب "البيان والتبيين".

والذي بنى عليه العمري قراءته للجاحظ هو الاختلاف القائم بين التصور الأولي في الكتاب وبين مادة الكتاب أي بين المشروع والمنجز، إذ يرى عدم توافقهما إذ كان المشروع ضخما اقترب فيه الجاحظ من المنجز المعاصر فيما يتعلق بسيمائية الكون[46]، ولكن مشروع الجاحظ – حسب العمري- تقلص «إذ سرعان ما قايض البيان بالبلاغة [...] ثم قايض البلاغة بالخطابة دون إعلان»[47]، ولذلك جعل من ابن وهب محاورا للجاحظ وقارئا له، وقد بدأ كتابه بالإشارة إليه «أما بعد فإنك كنت ذكرت لي وقوفك على كتاب الجاحظ الذي سماه البيان والتبيين، وإنك وجدته إنما ذكر فيه أخبارا منتخلة وخطبا منتخبة، ولم يأت فيه بوظائف البيان، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان، فكان ما وقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب إليه»[48]، وكأننا نستشف من هذه القراءة انتقاصا لما قدمه الجاحظ، كما تعتبر سابقة بالنسبة للعمري في تاريخ البلاغة العربية أن يوازي بين الجاحظ وابن وهب، وقد كان الأول صاحب مشروع ضخم يحظى في ذلك بشرف السبق وموسوعية الطرح، ولا يمكن قراءة مشروعه من خلال البيان والتبيين فقط بل يجب العودة إلى ما جاء به من إشارات عبقرية في كلّ أعماله خاصة "الحيوان"، وأنّ كلّ ذلك يصب في إطار تصوره العام، دون أن ننسى القضية الكبرى التي كان يناضل عنها.

ويمكن أن نقرأ اتخاذ العمري ابن وهب محاورا للجاحظ موازيا لمحاورة العمري لصمود، وتعمده تقليص المساحة الضخمة التي خصّصها هذا الأخير للجاحظ، فنجد المركز عند صمود يقابله الهامش عند العمري.

وفي ختام هذه المقالة نقول إنّ جهودا كثيرة تضافرت في بناء صرح البلاغة العربية، تلك البلاغة التي نشأت بين أحضان القول الجميل، وكذا بين أحضان النص المقدس، فكانت بلاغة إعجاز من جهة وبلاغة إمتاع من جهة أخرى، لتطل علينا من بين ثنايا البلاغتين بلاغة إقناعية تضمنتها مباحث البلاغة وإن لم تنظّر لها.

وفي خضم ذلك الزخم الهائل من المؤلفات البلاغية توارث العرب فيما بينهم ميراثا زاخرا ثمينا لعلم مبرز من أعلام الأمة، ذلك الكاتب الذي اتفق المتقدمون والمتأخرون على ريادته وتفرده، إنه الجاحظ الذي خلّف كتبا ورسائل صوّرت لنا رجلا اكتسب معرفة موسوعية أهلته حقا لأن يكون شامة على جبين الزمان.

وفي ذلك التراث الضخم، قدم الجاحظ نظرية عامة في البلاغة، مثلت تلخيصا لجهود السابقين، وخارطة يسير على هداها اللاحقون.

وقد تلقف المحدثون التراث البلاغي عامة وتراث الجاحظ خاصة بنوع من اللهفة والانبهار بما حواه الكتاب من معرفة لسانية ولغوية وبلاغية.

اختلفت القراءات وتنوعت لتراث الجاحظ خاصة البيان والتبيين بحسب وجهة أصحابها وخلفيتهم المعرفية الثقافية.

كانت الصفة المشتركة عند المتقدمين والمتأخرين عن كتاب البيان والتبيين هي الخلط واضطراب المنهج، وذلك عائد لطبيعة الجاحظ الموسوعية، وهو ما سعى كثير من الدارسين إلى إيجاد تبريرات علمية له من خلال الدراسات التي قدموها.

الهوامش:

1-أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، دار الجيل، بيروت، ط:01، 1991م، ص،ص:70،71.

2-مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، بيروت، ص:42.

3-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الأرقم، بيروت، ص:118.

4-الجاحظ، الحيوان، ج:03، تح: عبد السلام هارون، ص:76.

5-مازن مبارك، ص:47.

6-أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ، تح:عبد المحسن سليمان، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط:01، 2012، ص:5.
7- محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد، الانتشار العربي، بيروت، ط:01، 2006، ص: 178.
8-شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط:09، ص:33.
9-حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، الكتاب الجديد، بيروت، ط:03، 2010، ص،ص:36،135
10-ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ط:01، 2004، ص: 1.646
11-طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، الفيصلية، مكة المكرمة،1425هـ، 2004م، ص:31.
12-محمد كريم كواز، البلاغة والنقد، ص: 204.
13-شوقي ضيف، البلاغة العربية، ص: 11.
14-ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تق: طه إبراهيم، دار الكتب العلمية،لبنان، 2001، ص: 42.
15- محمد الجهشياري، الوزراء والكتاب، تق: حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، 1988م، ص:51.
16-نفسه، ص:53.
17-ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، سوريا، ص:18.
18-أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص:140.
19- ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.
20- حمّادي صمود، التفكير البلاغي، ص،ص:141،140.
21- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية،المدينة المنورة، ط:1973،03،ص:23.
22--أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 12.
23-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:05 ، 2004م، ص:6.
24--ينظر المصدر السابق، ص: 09.
25 شوقي ضيف، البلاغة العربية، تطور وتاريخ، ص: 272.
26-المرجع نفسه، ص: 288.
27-أبو هلال العسكري، ص: 08.
28-عبد السلام مسدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، دار سعاد الصباح، الكويت، ط:04، 1993م،ص:102.
29-الجاحظ، البيان والتبيين، ج: 01، ص: 60.
30- نفسه، ج: 01، ص:61.
31-ينظر: المصدر نفسه، ج: 01، ص: 07 وما بعدها.
32-نفسه، ج: 01، ص:61.
33-نفسه، ج: 01، ص:247.
34-نفسه، ج: 03، ص:226.
35-محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ د.م.ج، الجزائر، 1994،ص:07.
36-المرجع نفسه، ص:09.
37-ينظر: المرجع نفسه، ص:67، وما بعدها.
38-المرجع نفسه، ص:10.
39-المرجع نفسه، ص: 15.
40-التفكير البلاغي، ص،ص:15، 16.
41-نفسه، ص:17.
42-نفسه، ص: 141.
43-نفسه، ص: 141.
44-نفسه، ص:269.
45-محمد العمري، البلاغة العربية، الأصول والامتدادات، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999م، ص:189.
46-للاطلاع ينظر: السيمياء العامة وسيمياء الكون، عبد الواحد مرابط، سيمياء الكون، يوري لوتمان،
47-أسئلة البلاغة، ص: 129.
48-البرهان في الوجوه البيان، ابن وهب، تح: حنفي محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، ص:49